

ثورة المغاربة الخوارج

انفجرت في منطقة طنجة ثورة ضد عاملها عمر بن عبد الله المرادي وقتلته، ثم انتشرت إلى باقي نواحي المغرب الأقصى ثم المغربيين الأوسط والأدنى، وحققت انتصارات كبيرة على جنود الأمويين نتج عنها استقلال البلاد. فما هي أهم أحداثها؟ و من هم قادتها؟ وماهي أسبابها؟ وما هي أهم نتائجها؟

1-أحداث الثورة

ترجم الثورة شخص يدعى ميسرة المطغري أو المدغري من قبيلة مدغرة أو مطغرة البترية الزناتية، وينعت بالحقير والخفير والفقير وهي أسماء قد يكون للناسخ دور أساسي في ظهورها أو قد تكون مرتبطة بأحداث عاشها في حياته. فقد قضى زمانا بالقيروان عمل خلاله سقاء وخفيرا وتلقى مبادئ المذهب الخارجي هناك، بل نجح في تزعم أتباعه. وكان ضمن الوفد المغربي الذي ذهب إلى دمشق للتظلم للخليفة هشام بن عبد الملك من تعسف عامله وأتباعه وعاد محبطا يائسا من إصلاح الأمور عازما على الثورة ضد الظلم.

بدأت أحداث الثورة بقتل عامل طنجة المرادي (15 رمضان 122هـ / 13 غشت 741م)، وانضمت إلى الثوار قبائل عديدة مثل مكناسة وغمارة وبرغواطية، وتصدت لتدخل عامل السوس الأقصى إسماعيل بن عبيد الله وقتله وبذلك عمت الثورة كل المغرب الأقصى. وحدثت خلافات بين الثوار ربما بسبب رفض ميسرة تعميم الثورة فعزل وقتل وعين مكانه خالد بن حميد الزناتي. وزحف الثوار نحو الشرق.

لما وصلت أخبار الثورة إلى القيروان أرسل عبيد الله بن الحباب جيشا تحت قيادة خالد بن أبي عبيدة الفهري في أشرف العرب، فاصطدم بالثوار على وادي الشلف غرب المغرب الأوسط في "معركة الأشرف"، فانتصر الثوار وزاد انتشار الثورة في المغرب ووصلت إلى الأندلس.

غضب الخليفة هشام للهزيمة وأرسل جيشا كبيرا من دمشق قوامه ثلاثون ألف رجل يقوده كلثوم بن عياض القشيري وابن أخيه بلج بن بشر وانضم إليه باقي جند إفريقية لسحق الثوار وإبادتهم، لكن غرور القشيري والخلافات الداخلية لهذا الجيش (أهل إفريقية // أهل الشام) وحماس الثوار وحسن تنظيمهم أدت إلى هزيمته في معركة بقدورة على واد سبو وقتل ثلث الجيش وانسحب ثلثه نحو المشرق وحوصر ثلثه في سبتة. وخلال هذه المعركة أظهر الثوار قدرة عالية على التنظيم بحيث حلّقوا رؤوسهم ليتعارفوا فيما بينهم في الميدان واستعملوا الجلود المنفوخة لإخافة خيول العرب ليحصل التكافؤ بين الطرفين ويقللوا من تفوق الفرسان العرب. وانفصل المغرب بعد هذا النصر واستقل عن الأمويين وانتقلت الثورة نحو

المشرق. لكن البلاد استدخل في غموض كبير ولن نتمكن من معرفة شيء عنها إلا بعد أربع سنوات عندما قامت إمارة برغواطة في تامسنا.

انتقلت الثورة إلى المشرق، فثار في قابس عكاشة بن أيوب الفزازي الزناتي الصفري واحتل ضواحي طرابلس بعد مرور حملة كلثوم القشيري مستغلا فراغ إفريقية من جندها. وثار في الشمال عبد الواحد بن يزيد الهواري وسيطر على تونس. وتسابقا من أجل السيطرة على القيروان لكنهما انهزما أمام العامل الجديد حنظلة بن صفوان على التوالي في معركتي الأصنام والقرن عام 124هـ/742م، فانسحب الخوارج إلى قاعدتهم في الزاب في السنة الموالية، وطورد خوارج نفاوة في طرابلس ونواحيها.

في ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهري استعاد الخوارج نشاطهم منذ عام 127هـ/745م بزعامة عاصم بن جميل الورفجومي الذي هزم عبد الرحمن وخرب القيروان، لكن عبد الرحمن عاد وهزمه في الأوراس وطارد الخوارج دون أن يقضي عليهم. وتجدد نشاطهم مرة أخرى مع عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي سنة 140هـ/758م وقتل ابن حبيب الفهري وسيطر على القيروان ومد نفوذ قبيلته على كل إفريقية. ثم دخل في صراع مع زعيم خارجي آخر وهو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الهواري الإباضي المستقر في القيروان، فانهزم أمامه وقتل وطردت ورفجومة من القيروان التي تولى أمرها عبد الرحمن بن رستم الفارسي. وعندما جاء عامل أبي جعفر المنصور العباسي محمد بن الأشعث هزم أبا الخطاب وقتله مستغلا اختلال صفوفه وانقسام أباعه (زناتة// هوارة) سنة 144هـ/762م، ففر ابن رستم إلى موقع تاهرت غرب المغرب الأوسط فكون إمارة الإباضيين. وبالرغم من تراجع خطر الخوارج إلا أن خطرهم ظل حاضرا في إفريقية وكان على الولاة المتعاقبين (يزيد بن حاتم ومن بعده) مواجهتهم المرة بعد الأخرى.

لقد حققت الثورة كل هذه النجاحات فلماذا قامت؟

2- أسباب الثورة

يمكن تلخيص أهم أسبابها في ثلاثة عوامل رئيسية:

- عامل مادي: سبق التفصيل فيه عند الحديث عن السياسة الجبائية للولاة والتي تميزت بالتهب وعدم احترام الشرع واعتبار المغرب أرض عنوة (خراج).
- عامل قومي: سبق الحديث عنه أيضا ويتلخص في المعاملة السيئة للبربر والتي تميزت بالاحتقار والتهميش وعدم الإنصاف.
- عامل مذهبي: لم يكن العاملان السابقان ليحققا أية نتيجة لولا التأطير الذي وفره الفكر الخارجي بفرعيه الصفري والإباضي.

لقد استغلت فرق المعارضة الخارجية والشيوعية بعد المغرب عن رقابة الدولة الأموية لتنتشر أفكارها وتضم أتباعا هناك استعدادا لمعركة الحسم. واستفادت من سخط البربر وغضبهم من معاملة الحكام لتجلبهم وتسلب عقولهم بفكرها المائل إلى التقشف والبساطة والمساواة والعدل والالتزام بمبادئ الشرع. وقد نجحوا في كسب تأييد قبائل بربرية من طرابلس وجبل نفوسة حتى طنجة. ولا ندري بالتدقيق متى دخل هذا الفكر إلى المغرب لكن يرجح أنه وصل في نهاية القرن الأول وبداية الثاني. وكان أول زعماء الصفرية بالقيروان عكرمة بن العباس الذي نجح في تكوين أتباع مثل ميسرة المطغري وسمكو بن واسول المكناسي وطريف بن شمعون وعبد الأعلى بن جريج، وقد انتشرت الصفرية أساسا في غرب البلاد. أما زعيما الإباضية في المغرب فهما سلمة بن سعيد ومحمد بن عبد الحميد بن معيطر اللذان كونا الأتباع وأرسلهم إلى البصرة لتعميق التكوين. وكانت ليبيا (طرابلس وجبل نفوسة والزاب) المجال المفضل عند الإباضيين.

بهذا الإطار الفكري دخل البربر معركة الاستقلال وكسبوها، فماذا حققوا بثورتهم؟

3- نتائج الثورة

حققت الثورة نتائج متنوعة تتمحور حول الاستقلال.

- استقلال المغرب عن المشرق والدولة الأموية وبعدها العباسية والتخلص من التبعية.
- تكوين إمارات مستقلة خارجية أساسا أهمها: إمارة بني مدرار بسجلماسة وإمارة الرستميين بتاهرت وإمارة بني صالح بنكور وإمارة برغواطة بتماسنا.
- عودة بعض المناطق إلى حكم النظام القبلي.
- دخول البلاد في حالة من الغموض بإهمال المؤرخين المسلمين لأخبارها وابتعادها عن الأضواء.
- تأخر في الاستفادة من المد الحضاري الإسلامي مقارنة مع المشرق
- فسح المجال لنشر الإسلام على طريقة الخوارج.

خاتمة

بعد الجهد الكبير للقاتحين لضم المغرب، لم يعمر الحكم الأموي في البلاد إلا ربع قرن لتعود للاستقلال تحت لواء إمارات مستقلة متنوعة دون أن تفرط في الدين الجديد حتى ولو كان بلباس الإسلام الخارجي.